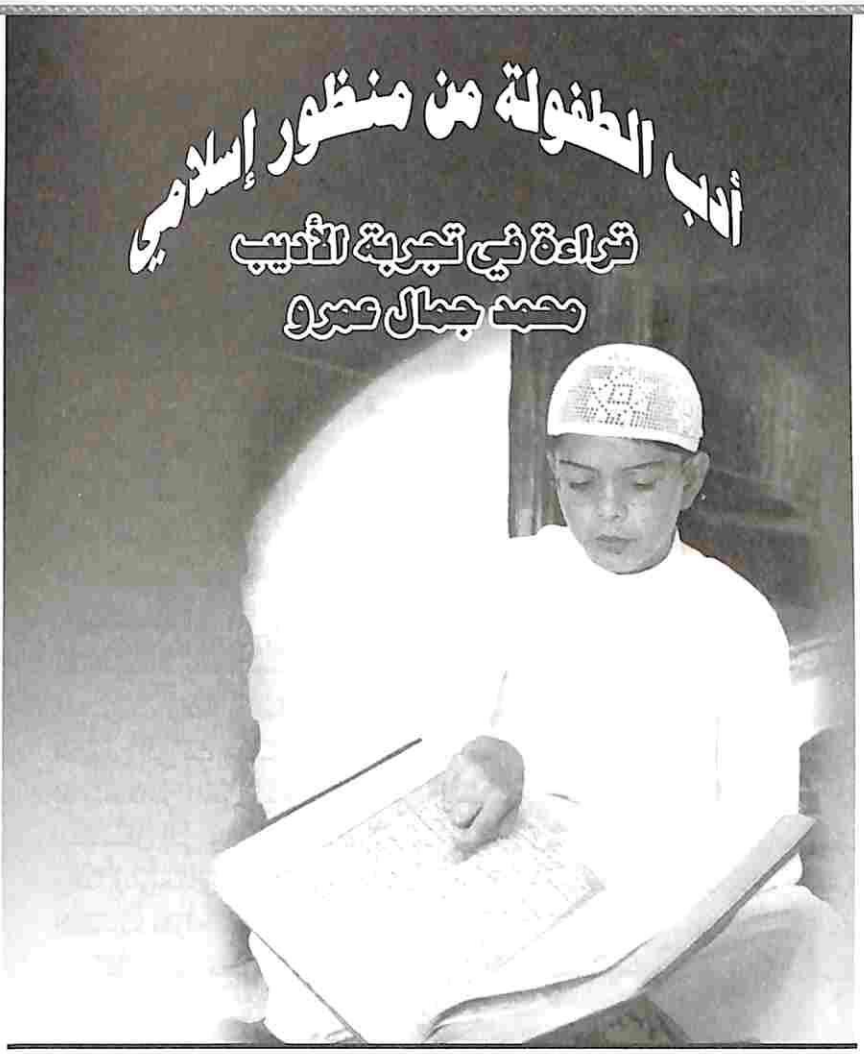

يطمح هذا البحث إلى تنوير قضية الفن والأخلاق من خلال قراءة نقدية في أعمال الأديب الأردني محمد جمال عمرو، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية الذي مضى على اشتغاله في مجال أدب الأطفال مدة تزيد على عشرين عاما أنجز خلالها عددا كبيرا من الأعمال الإبداعية على مستوى القصة والشعر الموجهين للأطفال، وامتد نشاطه إلى حقول أخرى تمثلت في إنتاج برامج الأطفال من خلال أجهزة الحاسوب، وعلى الرغم من أصالة هذه التجربة ونبل مقاصدها واستيفائها مقومات الفن الجميل، إلا أنها لم تحظ بدراسة نقدية تضيء هذا الجهد النبيل.

بقلم : عمر حسن القيام
الأردن

بل إن هذه التجربة اصطدمت بجملة من العقبات كانت كفيلة بتبديد طاقة متوهجة مثل طاقة الأستاذ محمد جمال عمرو، بيد أن تسلحه بالصبر، وإدراكه النافذ للغايات التي يتغياها الأديب المسلم وهو ينجز مشروعه، هوَّنا عليه كل صعب، وجعلاه معلق الرجاء بمن لا يضيع عنده مثقال ذرة، حيث ما زال مستحصد العزيمة على إكمال مشروعه، وما زالت قدرته في أفق التنامي والتحليق المستمر في عالم الإتقان والإبداع.

تبلورت تجربة الأديب محمد جمال عمرو، وتعمقت جذورها في تربة الواقع من خلال أفق أدب الأطفال باعتباره الأفق الأول والأساس في آفاق الوعي الإسلامي بالأدب، وفرعا نوعيا منبثقا من شجرة الآداب الكبرى، فقد آلمه أن يرى الثقافة الوافدة تعربد في حدائق أطفالنا، وتسهم بقوة ودهاء في صياغة شخصياتهم وبناء أرواحهم، فشمر عن ساعد الجد، وصحت عزيمته على خوض هذا المعترك الذي يحتاج إلى صبر ومصابرة ومرابطة.

تجلت تجربة الأديب محمد جمال عمرو في جنسين أدبيين هما: الشعر والقصة . ويلحظ المتأمل في إنجازاته أن هناك وعيا دقيقا بضرورة تنمية الإدراك الديني لدى الأطفال من خلال التركيز على جملة من المعتقدات الأساسية وصياغتها في قالب جميل يتغلغل في روح الطفل،ويصل إلى قرارة قلبه دون أي عائق وذلك بما توفر لها من نغم جميل وألفاظ عذبة رقيقة تراعي مستوى الإدراك لدى الأطفال:

أشهد أنك أنت الله
ربي لا أعبد إلاه
أنت الواحد يا رباه
أشهد أنك أنت اللهْ

ثم يقرر من خلال بساطة اللغة وروعة النغمة ما بذل فيه علماء التوحيد جهدا كبيرا من حيث الاستدلال بالصنعة على الصانع:

هذي الظلمة والأنوارْ
هذي شمسك والأقمارْ
هذا بحرك والأنهارْ
تشهد أنك أنت اللهْ

ويمعن محمد جمال في تنمية الإحساس بالمقدس في نفوس الأطفال من خلال هذه الأناشيد العذبة التي يجد فيها الطفل نهمته من الفن، فهو يقدر عظمة الكعبة وينقش على روح الطفل عقيدة المغفرة وطلب الصفح والرضوان من الله تعالى:

قد جئت بالذنب
ياكعبة الرحمنْ
أدعوك يا ربِّي
أن تكتب الغفرانْ
كل الحجيج سواءْ
في بيتك المعمورْ
بين العيون رجاءْ
أن الإله غفورْ

واستمع إليه كيف يبني بدقة متناهية عقيدة الإيمان بالرسل في نفس الطفل، بحيث يتأسس لديه مفهوم القدوة الحسنة، وتنفتح روحه على محبة الجناب النبوي وضرورة الاقتداء به، ليكون سهلا عليه في المستقبل أن يحظى بشرف متابعة رسول الله (ﷺ):

خذني إلى طه الحبيبْ
فالشوق نار تشتعلْ
رباه يا خير مجيبْ
فيك الرجاء والأملْ
فالأنبياء والرسلْ
فضل من الله العظيمْ
قد أرشدونا للعملْ
درب النجاة المستقيمْ

ويستطيع المدقق في تجربة محمد جمال عمرو أن يلحظ ظاهرة الاستيعاب الشامل لكل النوازع الروحية والعقلية للطفل، فهو شديد التركيز على تنمية الإحساس بالأخلاق العملية كالصبر والصدق والعفة ومساعدة الآخرين، شديد التيقظ لما يضادها من ذميم الأخلاق التي تقوض البناء الروحي والنفسي للطفل، ولو ذهبت أستشهد بنماذج من شعره لطال المقام، ولكنني سأورد نصا واحدا يشير إلى براعة محمد جمال في استنهاض العزيمة وبذر بذور القوة والجهاد واستثارة الطاقة الروحية الكامنة في نفوس الأطفال:

درست اليوم يا أمي
دروسا لستُ أنساها

يعتبر محمد جمال أغزر إنتاجا وأكثر اعتناء بالتقنيات الفنية مع التنبيه الذكي لحدود ملكة الخيال لدى الطفل.

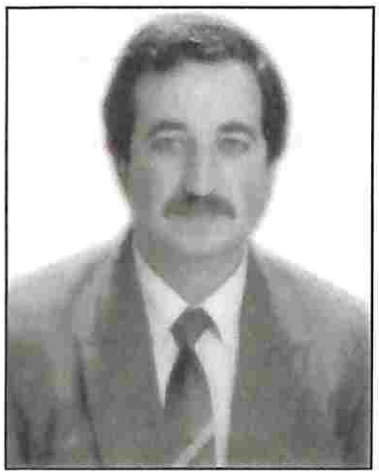

محمد جمال عمرو

في كل قصصه حرص محمد جمال عمرو على الاستيعاب الشامل للنوازع الروحية والعقلية للطفل

عن التاريخ عن شعبي
وعن أرض سُلِبْناها
لقد ذكرتْ معلمتي
بلادا ما رأيناها
فلسطينا، فقالتْها
وراحتْ ترسل الآها
بكت يا أمُّ دمعاتٍ
على الخدين مجراها
وقالتْ يا أحبائي
بلادي ما أُحَيْلاها
بكَيْنا كلنا جمّا
وقلنا نحن نهواها
فلسطينٌ فداها دمي
جموعَ الذّل دُسَناها
سنُرْجع مجد أمتنا
بأرواح بنلناها

أما في مجال القصة، فقد كان محمد جمال أغزر إنتاجا، وأكثر اعتناء بالتقنيات الفنية مع التنبه الذكي لحدود ملكة الخيال لدى الطفل، بحيث تبقى القصة محتفظة بمنطقها الداخلي الذي يعين على تفسير أحداثها وتقرير مضامينها. وقد شهدت أعماله الأخيرة تطورا ملحوظا تجلى في قدرته على استلهام التراث والتقاط اللحظات والمواقف المضيئة وإعادة صياغتها بطريقة

فنية جميلة تخصب خيال الطفل وترسخ فيه المضمون الأخلاقي الذي تشتمل عليه، وبحسبي أن أشير في هذا المقام إلى مجموعته القصصية المتميزة **«حكايات صفراء للفتيان»**، فقد استرعى انتباهي هذا العنوان القائم على المفارقة، واستفسرت من الأستاذ المؤلف عن سر هذه التسمية، فذكر أنها قد تبلورت من خلال إحساس التحدي للمقولة الزائفة التي ترى أن التراث لا يزيد عن كونه أوراقا صفراء، فانحرف محمد جمال بهذه الدلالة السلبية ليقيم على أنقاضها دلالة إيجابية تستلهم صفرة الذهب لا صفرة الموت، فكتب مجموعة قصصية تستلهم التراث التاريخي والأدبي، حيث كتب على سبيل المثال قصة **«الكلب الجوري والجندي الذكي»** من خلال خبر بسيط ورد في **«معجم البلدان»** عن فتح مدينة جور، وكتب قصة **«زرياب يستغيث»** من خلال الإفادة من كتاب **«الفرج بعد الشدة للتنوخي»**، حيث عمل على تعميق فضيلة الصبر وانتظار الفرج.

إن نجاح تجربة محمد جمال عمرو من وجهة نظري المتواضعة راجع إلى قدرته على تبسيط اللغة مع المحافظة على دلالاتها الأصلية، وفي مجال الشعر يتجلى ذكاؤه في اختيار الأوزان الخفيفة والمجزوءة التي تناسب ملكة الغناء لدى الأطفال، ويشفع ذلك بالقدرة على إثارة جو تاريخي بالسيطرة على ملكة الخيال وحدود امتدادها بحيث لا يدخل الطفل في متاهة البحث عن المعنى، مما يؤهله بعد ذلك للانفعال بمضمون الرسالة الأخلاقية واستيعابها، وهو ما يطمح إليه الكاتب الناجح، آملا للأستاذ محمد جمال مزيد التقدم واضطراد النجاح. ■

أكبادنا

شعر: حطان بن المعلى

(الأمالي لأبي علي القالي)

أنزلني الدهر على حكمه ... من شاهق عال إلى خفض
وغالني الدهر بوفر الغنى ... فليس لي مال سوى عرضي
لولا بنيات كزغب القطا ... أجمعن من بعض إلى بعض
لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض